المطلب الرابع: أيُّ الاستفتاح أفضلُ ؟

**اختار المباركفوري رحمه الله أن الاستفتاح بــ اللهم باعد بيني وبين خطايا...([[1]](#footnote-2)) أفضل حيث قال رحمه الله :"وقد روى عن النبي أنواع من الذكر في استفتاح الصلاة ... وهو من الاختلاف المباح فبأيها استفتح الصلاة كان جائزا لكن الأولى بالاختيار عندنا حديث أبي هريرة الذي جاء فيه دعاء الافتتاح بلفظ : اللهم باعد بيني وبين خطايا...([[2]](#footnote-3))؛ لأنه أصح ما ورد في ذلك"([[3]](#footnote-4)).**

**تحرير محل النزاع:** لا خلاف بين العلماء القائلين باستحباب دعاء الاستفتاح في الصلاة في أنه يجوز للمصلى أن يستفتح صلاته بأي دعاء من الأدعية الثابتة من السنة للاستفتاح([[4]](#footnote-5)), وإنما اختلفوا فيما هو الأفضل من بينها من الأدعية الواردة في الاستفتاح على خمسة أقوال:

**القول الأول:** الأفضل أن يستفتح المصلى صلاته بدعاء:"سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك([[5]](#footnote-6))", رُوي ذلك عن أبي بكر, وعمر, وعبد الله بن مسعود ([[6]](#footnote-7)), وهو مذهب الحنفية([[7]](#footnote-8))، والحنابلة([[8]](#footnote-9)), وهو قول إسحاق([[9]](#footnote-10)).

**القول الثاني:** الأفضل أن يستفتح المصلى صلاته بدعاء"وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين.([[10]](#footnote-11))", وهذا مذهب الشافعية([[11]](#footnote-12)),واختار بعض الحنابلة([[12]](#footnote-13)).

**القول الثالث:** الأفضل في الاستفتاح الجمع بين سبحانك اللهم وبحمدك ...([[13]](#footnote-14))" وبين "وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض...([[14]](#footnote-15))" وبه قال أبو يوسف([[15]](#footnote-16)), وبعض الشافعية([[16]](#footnote-17)), وابن هبيرة من الحنابلة([[17]](#footnote-18))**.**

**القول الرابع:** الأفضل استفتاح الصلاة بدعاء:"اللهم باعد بيني وبين خطايا كما باعدت بين المشرق والمغرب...([[18]](#footnote-19))"وبه قال الشوكاني([[19]](#footnote-20)), والمباركفوري صاحب التحفة([[20]](#footnote-21)), وهو اختيار المباركفوري.

**القول الخامس:** الأفضل التنويع فيستفتح تارة بـ "سبحانك اللهم...", وتارة بـ "وجهت وجهي...", تارة بـ"اللهم باعد بيني وبين خطايا ..."وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية([[21]](#footnote-22)), والمرداوي([[22]](#footnote-23)), والعلامة ابن باز([[23]](#footnote-24)), وابن عثيمين([[24]](#footnote-25))رحمه الله جميعا.

**سبب الخلاف في المسألة:** الذي يبدو لي- والله أعلم- هو تعدد الآثار الواردة في المسألة, واشتمال كل منه على معان لا يشتملها الأخر, وكون بعضها أصح من بعض.

**أدلة القول الأول:**

**الدليل الأول:** قوله تعالى**:**ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﭼ([[25]](#footnote-26)).

**وجه الدلالة:** أمر الله سبحان وتعالى بالتسبيح عند القيام, وكلمة"حين" للوقت فكأنه قال وقت القيام, فمنع تقديم غيره عليه, فكان التسبيح في تلك الحال أولى لموافقة الآية([[26]](#footnote-27))**.**

**الدليل الثاني:** عن أبي سعيد الخدري قال:كان رسول الله إذا افتتح الصلاة قال: "سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك"([[27]](#footnote-28)).

**الدليل الثالث:** عن عمر بن الخطاب أنه كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول:"سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك"([[28]](#footnote-29))**.**

**وجه الدلالة من الحديث والأثر السابقين من وجهين:**

**الأول:** أن النبي كان يستفتح الصلاة بذلك, ثم أن عمر بن الخطابكان يجهر بهذا الدعاء في الصلاة في محضر الصحابة الكرام ولم يخالفه أحد فدل على ظهوره واستفاضته, وهذا يدل على أنه هو الأفضل([[29]](#footnote-30))**.**

**الثاني**: أن هذا الدعاء مشتمل على أفضل الكلام بعد كلام الله تعالى لكونه مشتملا على الثناء المحض, فكان أفضل من غيره([[30]](#footnote-31))**.**

**دليل القول الثاني:** استدل أصحاب هذا القول بحديثعلي بن أبي طالب عن رسول الله أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال:"وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليـك تبـاركت وتعـاليت،

أستغفرك وأتوب إليك" ([[31]](#footnote-32)).

**وجه الدلالة من الحديث من وجهين:**

**الأول:** أن هذا الحديث أصح رواية، وأثبت إسنادا، وأشهر عند أصحاب الحديث متنا**.**

**الثاني:** أن هذا الدعاء موافق لكتاب الله عزَّ وجلَّ، ومشابه لحال المصلي، ولأنه يشتمل على أنواع من الدعاء من ثناء, وطلب([[32]](#footnote-33))**.**

**أدلة القول الثالث:**

**الدليل الأول:**عن جابر أن رسول الله ، كان إذا استفتح الصلاة قال:"سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي، ومحياي، ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له"([[33]](#footnote-34))**.**

**الدليل الثاني:** عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال:كان رسول الله :إذا استفتح الصلاة قال:"وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين، سبحانك اللهم بحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين"([[34]](#footnote-35)).

**وجه الدلالة من الحديثين السابقين:** قد صُرِّح في هذين الحديث بأن النبي كان يجمع بين"سبحانك اللهم وبحمدك..."وبين "وجهت وجهي..." فكان ذلك أفضل لفعله ([[35]](#footnote-36))**.**

**دليل القول الرابع:** استدل أصحاب هذا القول بحديث أبي هريرة قال:كان رسول الله يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة - قال أحسبه قال: هنية - فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله! إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟قال:"أقول:"اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد"([[36]](#footnote-37))**.**

**وجه الدلالة:** حديث أبي هريرة أصح ما ورد في هذا الباب مطلقا فكان العمل به أولى وأفضل([[37]](#footnote-38)).

**دليل القول الخامس:**استدل أصحاب هذا القول بما تقدم من الأدلة للقول الأول والثاني والثالث, والرابع وجمعوا بينها بأن جميع الأدعية ثبتت عن النبي , وليس ترك بعضها أولى من بعض فكان الأفضل أن يعمل بهذا تارة, وبالأخر أخرى, وهكذا إحياءً للجميع ما ثبت عن النبي ([[38]](#footnote-39))**.**

**والراجح في المسألة** الذي يبدو لي والله تعالى أعلم بالصواب أن المسألة فيها تفصيل, وذلك أنه لا شك في أن حديث أبي هريرة أصح الأحاديث الواردة مطلقا في هذا الباب فهذا يقتضي أن يكون الاستفتاح بـ أللهم باعد بين وبين خطايا كما باعدت بين المشرق والمغرب... أولى وأفضل من حيث الثبوت ويليه في الثبوت الدعاء:"وجهت وجهي للذي فطر السموات الأرض حنيفا وما أنا من المشركين".

وأما من حيث المعنى فدعاء"سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ..." يقتضي أن يكون أفضل لما اشتمل على الثناء المحض لله تعالى.

وأما الجمع بين سبحانك اللهم وبين وجهت وجهي فلم يثبت ذلك بالسنة الصحيحة.

فإذا ثبت هذا فالقول بالتنويع هو الذي يطمئن به قلبي لما فيه من إحياء جميع السنن المأثورة.

**وأما استدلال أصحاب القول الأول** بالآية على أفضلية دعاء:"سبحانك اللهم..." فغير صحيح لأمرين:

**الأول:** إن هذا التفسير فيه بُعد، فإن قوله تعالى: ﭽ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﭼ([[39]](#footnote-40)) لا يدل على

التسبيح بعد التكبير، فإن التكبير هو الذي يكون بعد القيام، والتسبيح يكون وراء ذلك، فدل على أن المراد فيه حين تقوم من كل مكان([[40]](#footnote-41)).

**الثاني:** أن الآية محمولة إما على القيام من النوم أو على التسبيح في الركوع والسجود([[41]](#footnote-42)). والله أعلم.

1. () تقدم تخريجه في ص (679). [↑](#footnote-ref-2)
2. () تقدم تخريجه في ص (679). [↑](#footnote-ref-3)
3. () مرعاة المفاتيح3/95. [↑](#footnote-ref-4)
4. () ينظر: إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم1/145, وفتح الباري لابن رجب6/386. [↑](#footnote-ref-5)
5. () تقدم تخرجه في ص (876). [↑](#footnote-ref-6)
6. () ينظر: الأوسط3/82, والشرح الكبير مع المقنع3/426. [↑](#footnote-ref-7)
7. () ينظر: المبسوط للشيباني1/3, وشرح مختصر الطحاوي1/581, والمبسوط للسرخسي1/12، وبدائع الصنائع2/35, والبحر الرائق1/327. [↑](#footnote-ref-8)
8. () ينظر: مسائل الإمام أحمد روايته ابنه عبد الله ص75, ومسائل الإمام أحمد وإسحاق2/510, والمغني2/142، والشرح الكبير مع المقنع3/426, والمبدع1/381، والإنصاف مع المقنع3/425. [↑](#footnote-ref-9)
9. () ينظر: الأوسط3/86. إلا أن الذي في مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه[2/514] أنه اختار الجمع بين سبحانك اللهم وبين وجهت وجهي. [↑](#footnote-ref-10)
10. () تقدم تخريجه في ص (876). [↑](#footnote-ref-11)
11. () ينظر: الأم2/241,والمهذب1/137,والحاوي الكبير2/100، والبيان 2/176, والعزيز1/489, والمجموع3/278. [↑](#footnote-ref-12)
12. () كأبي بكر الآجري. ينظر: [مجموع فتاوى ابن تيمية22/404, والفروع2/169, والإنصاف 3/425]. [↑](#footnote-ref-13)
13. () تقدم تخريجه في ص (876). [↑](#footnote-ref-14)
14. () تقدم تخريجه في ص (876). [↑](#footnote-ref-15)
15. () ينظر: تحفة الفقهاء ص128, والمبسوط للسرخسي1/12, وبدائع الصنائع2/35, والاختيار لتعليل المختار1/49, وتبيين الحقائق1/111. [↑](#footnote-ref-16)
16. () كأبي إسحاق المروزي,وأبي حامد.ينظر:[البيان2/176,والعزيز1/490, والمجموع3/278]. [↑](#footnote-ref-17)
17. () ينظر:إجماع الأئمة الأربعة1/145,والفروع2/169,والمبدع1/382,والإنصاف مع المقنع3/426. [↑](#footnote-ref-18)
18. () تقدم تخريجه في ص(679). [↑](#footnote-ref-19)
19. () ينظر: نيل الأوطار2/553, والسيل الجرار1/223-224. [↑](#footnote-ref-20)
20. () ينظر: تحفة الأحوذي2/45, وأبكار المنن ص257. [↑](#footnote-ref-21)
21. () ينظر: الفروع2/170, و المبدع1/382, والإنصاف مع المقنع3/427. [↑](#footnote-ref-22)
22. () ينظر: الإنصاف مع المقنع3/427. [↑](#footnote-ref-23)
23. () ينظر: كيفية صلاة النبي لابن باز ص7. [↑](#footnote-ref-24)
24. () ينظر: الشرح الممتع3/48. [↑](#footnote-ref-25)
25. () سورة الطور الآية [48]. [↑](#footnote-ref-26)
26. () ينظر: شرح مختصر الطحاوي1/582, وأحكام القرآن للجصاص4/200, والمبسوط للسرخسي 1/12, وبدائع الصنائع2/36, وتفسير الطبري22/489, والجامع لأحكام القرآن19/543. [↑](#footnote-ref-27)
27. () تقدم تخريجه في ص (875). [↑](#footnote-ref-28)
28. () تقدم تخريجه في ص (882). [↑](#footnote-ref-29)
29. () ينظر: شرح مختصر الطحاوي1/583, والمغني2/144, ومجموع فتاوى ابن تيمية22/396, وزاد المعاد1/205. [↑](#footnote-ref-30)
30. () ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية22/394, وزاد المعاد1/205-206. [↑](#footnote-ref-31)
31. () تقدم تخريجه في ص (876). [↑](#footnote-ref-32)
32. () ينظر: الحاوي الكبير2/100. [↑](#footnote-ref-33)
33. () أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصلاة,باب من روى الجمع بينهما2/114, برقم2351. والحديث ضعفه البيهقي, وابن حجر في التخليص الحبير1/416 فقال:"أخرجه البيهقي بسند جيد لكنه من رواية ابن المنكدر عنه,وقد اختلف عليه فيه".وقال في الدراية1 /129:"وليس له إسناد قوي". وقال الزيلعي في نصب الراية1/319:"قال البيهقي في المعرفة: وقد روي في الجمع بينهما عن محمد بن المنكدر، مرة عن ابن عمر، ومرة عـن جابر، وليس بالقوي". [↑](#footnote-ref-34)
34. () أخرجه الطبراني في المعجم الكبير12/353, برقم13324, وضعفه البيهقي في السنن الكبرى

    2/114, والحافظ بن حجر في التخليص1/416؛ لأن فيه عبد الله بن عامر الأسلمي وهو ضعيف. [↑](#footnote-ref-35)
35. () ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية22/395. [↑](#footnote-ref-36)
36. () تقدم تخريجه في ص (679). [↑](#footnote-ref-37)
37. () ينظر: نيل الأوطار2/553, وتحفة الأحوذي2/45, ومرعاة المفاتيح3/95. [↑](#footnote-ref-38)
38. () ينظر: الشرح الممتع3/48. [↑](#footnote-ref-39)
39. () سورة الطور الآية [48]. [↑](#footnote-ref-40)
40. () ينظر: أحكام القرآن للكيا الهراسي4/391, والجامع لأحكام القرآن 19/543. [↑](#footnote-ref-41)
41. () ينظر: الحاوي الكبير2/100. [↑](#footnote-ref-42)